بدع التفاسير في كشاف الزمخشري

(دراسة تحليلية)

إعداد/ د. محمد طه علام
مدرس الدراسات الإسلامية
قسم اللغة العربية
كلية الآداب جامعة بورسعيد

ـــ (المقدمة) ـــ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن القرآن الكريم شريعة الله في أرضه وحجته على خلقه ، فمن هديه ينهلون، وإليه يتحاكمون ، ومن ثم فإنه يستوجب على مفسره أن يتحرى الدقة في تأويله حتى لا يكون في تفسيره تحريف لكلام الله تعالى وتبديل أو تغيير لمعانيه ، وألا يخالف ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير الآيات ، وأن يتبع تفسير الصحابة أو التابعين إذا كان مستنداً إلى ذكر سبب النزول ؛ لأنه في حكم المرفوع ، وأن يفسر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت النزول ، وليست بمعانٍ مستحدثة أو حديثة بعد التنزيل ، وأن يكون تفسيره في حدود قواعد اللغة العربية وأساليبها المعهودة لهم ، وأن يتجنب تفسير ألفاظ القرآن الكريم باللغات الغريبة التي لا عهد للعرب بها ، فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (١).

والإمام الزمخشري من قدامى المفسرين لكتاب الله ، ويعد كتابه (الكشاف) من أشهر كتب التفسير التي اعتمد عليها المفسرون من بعده حتى إنهم نقلوا عنه بعض آرائه وأقواله وضمنوها مصنفاتهم.

بيد أنه قد استوقفني ما أورده في كشافه من تخطئة لأقوال السابقين عليه في تأويلهم لآي القرآن العظيم معبرًا عنها بقوله: (من بدع التفاسير) في إشارة منه واضحة إلى ضعف هذه الأقوال واستبعادها من جملة الآراء التي تحتملها الآيات .

ومن ثمَّ كانت الرغبة في تناول تلك المواضع ودراستها دراسة متأنية للوقوف على حقيقة تلك الأقوال وما تحتمله تلك الآيات من أوجه وتأويلات؛ فالقرآن الكريم حمَّال ذو وجوه وذلك من أجل الوقوف على التفسير الصحيح لها ، ومعرفة ما إذا كان الإمام الزمخشري مصيباً في حكمه عليها أو أنه قد جانبه الصواب في ذلك .

وعلى الرغم مما في هذا الموضوع من صعاب تثني الهمم ، وتلوي العزائم ، وعلى رأسها الخشية من الخوض في تفسير آيات القرآن الكريم والوقوع في زلل ، فضلاً عن قلة الأبحاث المتصلة بهذا الموضوع ، فلا أعلم أحداً تناول هذا الموضوع من قبل سوى الشيخ أبي عبد الله الغماري الذي ألف كتاباً في بدع التفاسير تضمن أمثلة ونماذج من تلك البدع دون أن يخص تفسيراً بعينه (*) ، إلا أنني أزمعت الخوض فيه معتمدًا على الله سبحانه وتعالى ومستمدًا العون منه ،

ولقد بني هذا البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة بنتائج البحث .

أما المقدمة وهي دستور البحث فقد أوضحت فيها أسباب اختياري هذا الموضوع ومنهجي في البحث وما واجهني من صعوبات

وأما التمهيد فقد خصصته لدراسة معنى البدعة في اللغة وفي الاصطلاح وخاصة عند الإمام الزمخشري .

وأما المباحث فقد جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول: ما جاء ظاهره مخالفاً للسياق العام للآية الكريمة.

المبحث الثاني: ما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به .

المبحث الثالث: ما جرى على خلاف معهود لغة القرآن الكريم .

المبحث الرابع : ما جاء مخالفاً للنظم والتركيب .

المبحث الخامس: ما جاء مخالفاً للصرف .

المبحث السادس: ما جاء محمولاً على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل.

ثم كانت الخاتمة والنتائج .

فإن وفقت فبفضل من الله سبحانه، وإلا فحسبي أني قد اجتهدت ، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٢). والحمد لله في الأولى وفي الآخرة .

ـــ (تمهيد) ـــ

ماهية البدعة (*)

معنى البدعة في اللغة :

ورد في المعاجم اللغوية في مادة (بدع) : بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً : أنشأه على غير مثال سابق، وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه، وأَبْدَعَ بمعنى ابْتَدَعَ وتَبَدَّع ، يقال: أَبْدَعَ الرجل وابْتَدَعَ وتَبَدَّع: أتَى بِبِدْعةٍ أي بأمر مختلف لم يعرف من قبل. والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلاً، بمعنى: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، والبِدْعةُ: كلُّ مُحْدَثةٍ، والبِدْعةُ بدْعتان: بدعةُ هُدى، وبدْعة ضلال، فما كان في خلاف ما أَمر الله به ورسوله فهو في حَيِّز الذّمِّ والإنكار، وما كان واقعاً تحت عُموم ما ندَب اللهُ إليه وحَضّ عليه أَو رسوله فهو في حيِّز المدح، وما لم يكن له مِثال موجود كنَوْع من الجُود والسّخاء وفِعْل المعروف فهو من الأَفعال المحمودة، ولا يجوز أَن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأَن النبي قد جعل له في ذلك ثواباً، فقال: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْرِهِ شيء) وقال في ضدّه: (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِ شَيءٌ)(٣) وذلك إذا كان في خلاف ما أَمر الله به ورسوله ﷺ، وفي حديث قيام رمضان: (نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ)(٤)، لما كانت من أَفعال الخير سَمّاها بدعة ومدحها، بيد أن أكثر ما تستعمل البدعة عرفاً في الذم .

معنى البدعة في الاصطلاح :

البِدْعة: اسمٌ من ابتَدَع الأمرَ إذا ابتدأه وأحْدثه ، ثم غلبتْ على ما هو زيادةٌ في الدين أو نقصان منه. أو ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة. أو الحدث في الدين بعد الإكمال، ومنه الحديث: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدثَةٍ بدْعةٌ، وكل بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) (٥) .

أو هي ما استحدث في الدين بعد النبي من الأهواء والأعمال. أو هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي والمعاني كلها متقاربة .

ولما كان شرط التفسير الصحيح أن يكون مطابقاً للفظ من حيث الاستعمال، سليماً من التكلف، عرياً من التعسف، فإن الإمام الزمخشري يسمي ما كان على خلاف ذلك بدع التفاسير، ولعله أول من أطلق هذا الوصف على التفسير المبتدع الخارج عن القواعد المعتبرة في التفسير الصحيح .

ولقد اتضح من خلال تلك الدراسة أن هذا الوصف قد استعمل فيما يخالف السياق، وما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به، وما جرى على خلاف معهود لغة القرآن، وما جاء مخالفاً للنظم والتركيب، وما جاء أيضاً مخالفاً للصرف، وما جاء محمولاً على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل، وهو ما سيأتي بيانه في المباحث التالية:

المبحث الأول

ما جاء ظاهره مخالفاً للسياق العام للآية الكريمة .

الموضع الأول

قال تعالى:﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ (٦).

اختلف المفسرون حول ما كتبه الله ﷻ للعباد في هذه الآية الكريمة، وكانوا في ذلك على عدة أقوال ، أحدها (٧): أن المعنى واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها .

وقد عقب عليه الإمام الزمخشري بقوله : " وهو قريب من بدع التفاسير" (٨)، ووافقه في ذلك أبو حيان(٩)، وذكر الفخر الرازي أن جمهور المحققين على استبعاده (١٠) .

والحق أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في الحكم على هذا القول بأنه قريب من بدع التفاسير؛ لأنه يمكن حمل الآية الكريمة عليه، فضلاً عن أن الفخر الرازي الذي نسب إلى الجمهور استبعادهم هذا القول قد صرح بأنه غير مستبعد عنده ، حيث يقول : " وعندي أنه لا بأس به ؛ وذلك هو أن الإنسان ما دام قلبه مشتغلا بطلب الشهوة واللذة لا يمكنه حينئذ أن يتفرغ للطاعة والعبودية والحضور، أما إذا قضى وطره وصار فارغاً من طلب الشهوة يمكنه حينئذ أن يتفرغ للعبودية ، فتقدير الآية : فالآن باشروهن حتى تتخلصوا من تلك الخواطر المانعة من الإخلاص في العبودية ، وإذا تخلصتم منها فابتغوا ما كتب الله من الإخلاص في العبودية في الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل وطلب ليلة القدر ، ولا شك أن هذه الرواية على هذا التقدير غير مستبعدة " (١١).

ولا شك أن هذا التوجيه حسن ومقبول ، بيد أن حمل الآية على العموم أولى من حملها على الخصوص ما لم يمنع من ذلك مانع شرعي ، إذْ إنها تحتمل تلك الأقوال أو الدلالات جميعا ، ويعضد ما ذهبت إليه أيضاً قول السعدي: " أي : انووا في مباشرتكم لزوجاتكم

التقرب إلى الله تعالى ، والمقصود الأعظم من الوطء ، وهو حصول الذرية ، وإعفاف فرجه وفرج زوجته ، وحصول مقاصد النكاح ، ومما كتب الله لكم ليلة القدر الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر – إذا فاتت – لم تدرك " (١٢) . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (١٣).

اختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى: ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ وكانوا على قولين، أحدهما(١٤): أن معنى﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ أي : فتجعلها ذكرًا، بمعنى: تُصَيِّرُ حكمَها حكمَ الذَّكَرِ في قَبولِ الشهادةِ وهو مذهب سفيان بن عيينة ، وحكى نحوه الأصمعي عن أبي عمرو(١٥)، واختاره القاضي أبو يعلى(١٦) .

وقد عدَّه الإمام الزمخشري من بدع التفاسير ؛ حيث يقول : " ومن بدع التفاسير ﴿ فَتُذَكِّرَ ﴾ أي: فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا ، يعني: أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة " (١٧)، ونقله عنه كل من السمين الحلبي، وابن عادل، والخطيب الشربيني(١٨)

والحق أن الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب فيما ذهب إليه ؛ وذلك لما في هذا القول من اعتساف وابتعاد عن السياق العام للآية الكريمة، وهذا ما وافقه عليه كثير من المفسرين(١٩) ، حتى إن بعضهم عدَّه شاذا كابن عادل، والسمين الحلبي(٢٠).

ومن المفسرين من جعله بعيدًا عن المعنى المراد ، يقول ابن كثير: " ومن قال: إن شهادتها معها تجعلها كشهادة ذكر فقد أبعد " (٢١).

ومنهم من أبطله كالرازي والشوكاني ، يقول الرازي: " وهذا الوجه باطل باتفاق عامة المفسرين ..." (٢٢).

ويقول الشوكاني: "ولا شك أن هذا باطل لا يدل عليه شرع ، ولا لغة ، ولا عقل "(٢٣).

واستنادًا إلى أقوال المفسرين وحكمهم على هذا القول بأنه من البدع مرة ، وشاذ مرة أخرى، وبعيد مرة ثالثة ، ثم الحكم عليه بالبطلان شرعاً ولغة وعقلا فإن القول بأن المراد أنها تذكرها إن نسيت لاشك هو الصحيح والأقرب إلى الصواب والأوْلى بالقبول، وهو أيضاً الذي عليه جمهور المفسرين .

هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثالث

قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (٢٤).

اختلف المفسرون حول معنى كلام الله تعالى لموسى في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٢٥): أنَّ (كَلَّمَ) من (الكَلْم)، وهو الجرح .

وقد جعله الإمام الزمخشري من بدع التفاسير حيث يقول : " ومن بدع التفاسير أنه من الكلْم، وأن معناه: وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن" (٢٦)، ونقل عنه ذلك أبو حيان(٢٧).

ولعلّ الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب فيما ذهب إليه؛ لأن هذا المعنى لا يتسق والمعنى العام للآية الكريمة، ومن ثم فإنه يعد من التفسيرات الخاطئة التي يتعمد أصحابها تحريف الكلِم عن بعض مواضعه حتى لا يضطروا إلى الاعتراف بنسبة الكلام إلى الله تعالى، وهذا ما أبطله جماعة من العلماء كابن تيمية(٢٨)، وابن القيم (٢٩)، وابن عبد الهادي(٣٠) والزركشي، والفخر الرازي، وابن عادل(٣١)، يقول الزركشي: " ولقد سخف عقل من تأوّله على أنه كلّمه بأظفار المحن، من الكلْم وهو الجرح" (٣٢)، ويقول الرازي: " وهذا تفسير باطل " (٣٣).

ومن الواضح أن مثل تلك التفسيرات الخاطئة أو الباطلة تعد من أقوال بعض المعتزلة الذين ينكرون صفة الكلام للذات الإلهية، ومع أن الإمام الزمخشري معتزلي المذهب إلا أنه خالفهم في ذلك، يقول صاحب الانتصاف: " وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات، إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام، لا بذات الله تعالى إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفاً وأصواتاً قائمة ببعض الأجرام، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف، فيضطر المعتزلي إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الإمام الزمخشري وأنصف : إنه لمن بدع التفاسير التي ينبو عنها الفهم ، ولا يبين بها إلا الوهم " (٣٤). هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الرابع

قولـــه تعـــالى :﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣٥).

اختلف المفسرون حول معنى (القلب السليم) وكانوا في ذلك على عدة أقوال، منها (٣٦).

الأول : أن السليم هو اللديغ من خشية الله تعالى ، المنزعج من مخافة القطيعة ، وهذا قول الجنيد .

الثاني : أنّ السليم هو الذي سَلِمَ وسلَّم وأَسْلَم وسالم واستسلم .

وهذان القولان ضعفهما الإمام الزمخشري؛ حيث قال: " ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم (السليم) بـ اللديغ من خشية الله . وقول آخر: هو الذي سَلِمَ وسلَّم وأَسْلَم وسالم واستسلم " (٣٧).

والحق أن الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب في تضعيف القول الأول ؛ لأنه على الرغم من أن إطلاق لفظ السليم على اللديغ أمر شائع ومطرد في اللغة إلا أن السياق العام للآية الكريمة يأبى هذا المعنى(٣٨).

على حين جانبه الصواب في القول الثاني(٣٩)؛ وذلك لأن معناه كما يقول الألوسي : " هو الذي سلم من الشرك والمعاصي، وسلم نفسه لحكم الله تعالى ، وسالم أولياءه وحارب أعداءه ، وأسلم حيث نظر فعرف ، واستسلم وانقاد لله تعالى وأذعن لعبادته سبحانه " (٤٠) .

وبهذا المعنى الجميل من الألوسي أرى – والله أعلم – أنه نأى بهذا القول عن حكم الإمام الزمخشري عليه بأنه من بدع التفاسير .

هذا والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الخامس

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ (٤١) .

اختلف المفسرون في المراد بـ (الأرض) التي لم توطأ في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ وكانوا في ذلك على عدة أقوال ، منها(٤٢): أن (الأرض) هنا كناية عن النساء، والمراد من الوطء : الجماع ؛ لأنه لما قال أرضهم وديارهم كفى في البلاد ، وأرضا لم تطؤها يعنى النساء(٤٣)، وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم" (٤٤).

والحق أن الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب في تضعيفه هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لما فيه من اعتساف بيِّن ينأى باللفظ عن السياق العام للآية الكريمة؛ حيث انتقل فكر قائله من وطء الأرض إلى وطء الفرج ، وهذا معنى مستبعد تماما .

وقد تبع الإمام الزمخشري في ذلك أبو حيان ، والخطيب الشربيني، والألوسي(٤٥)، وقال النيسابوري : " وعن بعضهم : أراد نساءَهم ، وهو غريب " (٤٦). هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع السادس

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (٤٧).

اختلف المفسرون حول معنى قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٤٨): أن الفرج هنا جيب قميصها، منعته من جبريل عليه السلام لما قرب منها لينفخ فيه حيث لم يُعرف .

وقد حكم عليه الإمام الزمخشري بقوله : " ومن بدع التفاسير : أنّ الفرج هو جيب الدرع ، ومعنى أحصنته : منعته جبريل ، وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج(٤٩) والتي لا زوج لها ، تسلية للأرامل وتطييباً لأنفسهنّ " (٥٠)، وتبعه في هذا الحكم: الألوسي، وإسماعيل حقي(٥١)، وقال الثعالبي : " وقالت فرقة : الفرج هنا هو فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك ، وهذا قول ضعيف" (٥٢) ، وقال الشنقيطي: " وقول من قال : إن فرجها الذي نفخ فيه الملك هو جيب درعها ظاهر السقوط ، بل النفخ الواقع في جيب الدرع وصل إلى الفرج المعروف فوقع الحمل " (٥٣).

وعلى الرغم من تضعيف هؤلاء المفسرين لهذا القول فقد استظهره بعضهم وذكروه بصيغة الجزم والقطع(٥٤)، بل إن منهم مَنْ حسَّنه ولم يذكر سواه(٥٥)، يقول الزركشي: " أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي، وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها، وهي كناية عن فرج القميص، أي لم يعلق ثوبها ريبة، فهي طاهرة الأثواب، وفروج القميص أربعة: الكمّان، والأعلى، والأسفل، وليس المراد غير هذا، فإن القرآن أنزه معنى، وألطف إشارة، وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب اليه وهم الجاهل؛ لاسيما والنفخ من روح القدس، بأمر القدوس، فأضيف القدس الى القدوس، ونُزِّهت القانتة المطهرة عن الظن الكاذب " (٥٦)، وقد أشار إلى ذلك المعنى إسماعيل حقي في تفسيره (٥٧).

والحق أن الآية تحتمل المعنيين جميعا ، وعليه فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في الحكم على أن المراد بالفرج هنا هو جيب قميصها بأنه من بدع التفاسير، وإن كان القول بأن المراد الفرج على حقيقته هو الراجح عندي ، وهو الذي عليه جمهور المفسرين ؛ لأنه يبرئ السيدة مريم العذراء مما رماها به اليهود وينزهها، ويبين عفتها وطهارتها تصديقاً لقوله ﷻ على لسانها : ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (٥٨).

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع السابع

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ (٥٩).

اختلف المفسرون حول معنى (اليتيم) الوارد في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال ، أحدها (٦٠): أنه من قول العرب: (درَّة يتيمة) ، والمعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك ونُسِبَ لمجاهد (٦١).

وقد ضعَّفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير أنه من قولهم: (درّة يتيمة) وأن المعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك " (٦٢)، وحكاه عنه أبو حيان، والخطيب الشربيني، والألوسي، وإسماعيل حقي(٦٣)، كما ضعفه أيضاً بعض المفسرين كالشوكاني، والخطيب، يقول الشوكاني: " وهو بعيد جدًا " (٦٤) ويقول الخطيب الشربيني : " وهذا خلاف الظاهر من الآية " (٦٥) .

والحق أن الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب فيما ذهب إليه من تضعيف هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لبعده عن المعنى العام للآية الكريمة ، ومخالفته لظاهر الآية ، ولما هو معهود في لغة القرآن الكريم ، ولعلّ القول بأن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه هو ما تميل إليه النفس، فهو الأرجح والأولى بالقبول ، وهو ما عليه جمهور المفسرين .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثامن

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ (٦٦).

قرأ العامة ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ بفتح الصاد وسكون الباء ، وهو فعل الأمر من (النَّصَب) الذي هو التعب بعد الاجتهاد، ولا خلاف على هذا بين القرّاء .

وقرأ بعضهم بكسر الصاد ، وعلى ذلك يكون المعنى: فإذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة ، وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن البدع: ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ: (فانصِبْ) بكسر الصاد، أي: فانصب علياً للإمامة، ولو صحّ هذا للرافضي لصحّ للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمراً بالنَّصبْ الذي هو بغض عليّ وعداوته" (٦٧).

ولعل الزمخشري قد حالفه الصواب فيما ذهب إليه، وهذا ما أكده المفسرون، يقول ابن عطية: " وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى، لم تثبت عن عالم" (٦٨)، ونقله عنه أبو حيان، والسمين الحلبي وابن عادل(٦٩)، وقال ابن العربي: " ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية (فأنصِب) بكسر الصاد والهمز من أوله، وقالوا : معناه: انصب الإمام الذي تستخلفه، وهذا باطل في القراءة، باطل في المعنى؛ لأن النبي ﷺ لم يستخلف أحدا " (٧٠). هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع التاسع

قوله:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ (٧١).

اختلف المفسرون حول معنى (الخوف) الذي آمنهم منه الله ﷻ في هذه الآية الكريمة، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٧٢) : أنّ المقصود : آمنهم من أن تكون الخلافة إلا فيهم .

وهذا القول غير مناسب لمعنى الآية ، بل هو بعيد ، ومن ثم ضعفه الإمام الزمخشري وجعله من بدع التفاسير؛ حيث نص على ذلك بقوله: " ومن بدع التفاسير: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ ، من أن تكون الخلافة في غيرهم " (٧٣)، وقال النيسابوري : " وقيل : من أن تكون الخلافة في غيرهم وفيه تكلف " (٧٤)، وقال الألوسي: " وحكى الكرماني في غرائب التفسير أنه قيل في قوله تعالى : ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أن الخلافة لا تكون إلا فيهم وهذا من البطلان بمكان كما لا يخفى" (٧٥)، وذكره الماوردي، والقرطبي، وابن عادل بدون تعقيب (٧٦).

ولعل الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب فيما ذهب إليه ، وكان محقاً في تضعيف هذا القول واستبعاده ؛ وذلك لمخالفته للمعنى العام للآية الكريمة . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الثاني

ما كان غريباً على العرب ولا عهد لهم به.

الموضع الأول

قوله:﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ (٧٧).

اختلف المفسرون حول حقيقة الرعد ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٧٨): أن الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم .

وقد جعل الإمام الزمخشري هذا القول من البدع ؛ حيث يقول : " ومن بدع المتصوّفة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم" (٧٩)، وذلك ظناً منه أن هذا هو المعنى الظاهري المراد من اللفظ، بيد أن الألوسي اعترض عليه بقوله: " وجعل الإمام الزمخشري هذا من بدع المتصوفة، وكأني بك تقول: إن أكثر ما ذكر في باب الإشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل، والجواب: إنا لا ندعى إلا الإشارة، وأما أن ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى فمعاذ الله تعالى من أن يمر بفكري، واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد، والجهل الذي ليس عليه مزيد ، وقد نص المحققون من الصوفية على أن معتقد ذلك كافر ، والعياذ بالله تعالى " (٨٠) .

وأرى أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه؛ لأن القاعدة العامة في تفسير الآيات القرآنية أن تفسَّر أولاً تفسيراً لفظياً ظاهرياً، ويذكر المعنى على هذا، ثم بعد ذلك يذكر المعنى الباطني أو الإشاري، أما أن يذكر المعنى الإشاري وحده على أنه هو المفهوم من اللفظ القرآني فليس من الصواب .

وعلى أية حال فإنه ينبغي أن نؤمن بتسبيح الرعد ، سواء أكان الرعد اسما لملك من الملائكة ، أو اسما لذلك الصوت المخصوص ، أما كيفية هذا التسبيح فيعلمه الله

وبناءً عليه فإن النفس تميل إلى القول بأن الرعد اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب ؛ وذلك لأمرين :

أحدهما: الحديث الوارد في هذا الشأن، والذي أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عَبَّاسٍ حيث قال:« أَقْبَلَتْ يَهُودُ إلى النبي ﷺ فَقَالُوا : يا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عن الرَّعْدِ ما هو؟ قال: مَلَكٌ من الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، معه مَخَارِيقُ(٨١) من نَارٍ يَسُوقُ بها السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ الله ، فَقَالُوا : فما هذا الصَّوْتُ الذي نَسْمَعُ ؟ قال: زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إذا زَجَرَهُ حتى يَنْتَهِيَ إلى حَيْثُ أُمِرَ. قالوا : صَدَقْتَ » (٨٢).

والثاني: أن هذا القول هو ما عليه أكثر المفسرين(٨٣)، وجمهور أهل الفقه والحديث، وإن كان بعضهم قد رجح القول بأنه اسم لهذا الصوت المخصوص(٨٤)، ورجح آخرون القول بأن المراد بتسبيح الرعد تسبيح من يسمعه (٨٥) . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ... ﴾ (٨٦) .

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ ٱلنَّحْلِ ﴾ الوارد في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (٨٧) : أنّ المراد بالنحل عليّ وقومه، وهذا على سبيل المجاز ، وهو ما ضعفه الإمام الزمخشري واستبعده بقوله: " ومن بدع تأويلات الرافضة : أن المراد بالنحل عليّ وقومه ، وعن بعضهم(٨٨) أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم ، فضحك المهدي وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم" (٨٩)، وقد حكاه عنه النسفي، والألوسي(٩٠)، وذكره ابن حزم في الإحكام (٩١)، والأصفهاني في الأغاني(٩٢)، وصاحب معاهدة التنصيص(٩٣)، دون نسبة إلى الزمخشري.

ولعل الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب في رده هذا القول ، ووصفه بهذا الوصف ؛ لأن فيه خروجاً عن النص بالكلية ، لا يقبله منطق ولا عقل ، ولا يستند إلى شيء من نقل .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثالث

قولـــه تعـــالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٩٤) .

اختلف المفسرون حول مكان ﴿ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ الذي وُعِد فيه موسى بلقاء الخضر ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (٩٥): أن البحرين كناية عن موسى والخضر؛ لأنهما بحران في العلم، والمراد بملتقاهما مكان يتفق فيه اجتماعهما ، وهو قول جماعة من المفسرين .

وقد استبعد الإمام الزمخشري هذا القول وعدَّه من بدع التفاسير، حيث يقول : "ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم " (٩٦) .

وتبعه في ذلك جماعة من المفسرين كابن عطية، وأبوحيان، والقرطبي، والنيسابوري، والشوكاني، والألوسي، وابن حجر ؛ حيث ردوه أبلغ رد (٩٧).

والحق أن الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب في تضعيف هذا القول واستبعاده؛ وذلك لأنه قد نُحِيَ باللفظ من الحقيقة إلى المجاز بدون مقتضٍ مما جعله في غاية البعد عن المعنى المراد، يقول الغماري: " ما يحكيه القرآن عن السابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا، فإننا لا ندري هل كان في لغة موسى التي خاطب بها فتاه إطلاق البحر على العالِم مجازاً أو كناية كما في لغة العرب ؟ وعلى هذا فالمتيقن في ﴿

مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ هو المعنى الحقيقي الذي ذكره المفسرون جميعهم ، وما عداه من بدع التفسير حتما " (٩٨).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المفسرين قد اقتصر على القول بأنه بحر فارس والروم فحسب ، ولم يرو غيره(٩٩)، قال ابن عجيبة: " وهذا مذهب الأكثر" (١٠٠)، وذهب مقاتل بن سليمان إلى القول بأنه عند طنجة(١٠١)، واختار صاحب التبيان القول بأنه بحر ملح وبحر عذب ، حيث يقول:" مجمع البحرين أي العذب والملح" (١٠٢).

على حين اقتصر بعضهم على القول بأنه كناية عن موسى والخضر – مع ما فيه من خلل واضح وابتعاد به عن المعنى المراد – بلا تعقيب ولا رد ، وهذا بلا شك يترتب عليه خطأ كبير في تفسير الآية الكريمة .

ولعله كان من الأحرى بالمفسرين ألا يجهدوا أنفسهم في أمر سكت عنه القرآن؛ لأنه لا طائل من ورائه؛ لأنهم نسوا أو تناسوا أن القرآن الكريم دائماً يركز على مواطن العبرة والعظة، وعلى كل ما فيه فائدة، وما لم يكن كذلك فالقرآن يغفله، وتعيين مجمع البحرين لم يذكره القرآن؛ حيث لا فائدة من ذكره، فلا داعي إذن لاختلاف المفسرين حول هذا الأمر، وخاصة أنه لا يوجد عليه دليل من كتاب ولا سنة.

يقول الرازي: " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك ، وإلا فالأولى السكوت عنه" (١٠٣)، وكذلك قال ابن عادل(١٠٤)، وقال الشنقيطي: " ومعلوم أن تعيين ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ من النوع الذي قدمنا ، أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، وليس في معرفته فائدة ، فالبحث عنه تعب لا طائل تحته ، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه " (١٠٥).

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الرابع

قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾ (١٠٦) .

اختلف المفسرون حول مرجع الضمير والمراد بالحجاب في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾، وكانوا على عدة أقوال، أحدها(١٠٧) : أن الضمير يرجع إلى الشمس ، والحجاب اسم لجبل دون قاف تغرب الشمس من خلفه .

وهذا القول استبعده الإمام الزمخشري ورده بقوله : " ومن بدع التفاسير: أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة ، تغرب الشمس من ورائه " (١٠٨).

وقد أحسن الإمام الزمخشري في تعقبه هذا القول ورده ، وبذلك فقد حالفه الصواب في ذلك .

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن القول بأن الحجاب اسم لجبل يعد من قبيل الإسرائيليات التي لا أساس لها من الصحة إلا أن بعض المفسرين كالبغوي، والثعلبي، والخازن، والقرطبي قد ذكروه ولم يتعقبوه(١٠٩).

أما الألوسي فقد حكاه وتعقبه بالبطلان ، حيث يقول : " والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس ، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات ، فلم يشاهدوا ذلك " (١١٠).

ولا شك أن القول بأنه لا وجود لمثل هذا الجبل المزعوم يعد بحق نظرة منصفة، فإننا قد وقفنا الآن على كثير من الحقائق العلمية والكونية في الفضاء الكوني الرحيب ، وهذا يجعلنا نؤكد أن حكاية هذا الجبل يعد خرافة بحق ؛ حيث لا ينهض على صحتها دليل علمي أو ديني ، إذ كيف يخفى على علماء الجغرافيا وسفن الفضاء التي تدور حول

الأرض واستقرت بعض المعدات الحديثة على القمر ، من عدم الكشف عن هذا الجبل المزعوم ؟ (١١١) .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الخامس

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ (١١٢) .

اختلف المفسرون حول معنى (الجزء) الوارد في هذه الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (١١٣): أن معنى (الجزء) في الآية الولد مرادًا به الإناث خاصة ، وهذا قول مجاهد، وهو المختار لدى جمهور المفسرين ، وقد احتج الشنقيطي لمذهب الجمهور القائل بأن المراد بالجزء في الآية الولد ، وأن المراد بالولد خصوص الإناث ، بأن إطلاق الجزء على الولد إنما يوجّه بأمرين :

أحدهما: أن تقرير الكلام أن ولد الرجل جزء منه مستدلاً بقوله ﷺ : « فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي »(١١٤).

الثاني : ما ذكره بعض علماء العربية من أن العرب تطلق الجزء مراداً به البنات، ويقولون : أجزأت المرأة إذا ولدت البنات ، وامرأة مجزئة أي تلد البنات .

بيد أن الإمام الزمخشري قد أنكر هذه اللغة مدعياً أنها كذب وافتراء على العرب؛ حيث يقول(١١٥) : " ومن بدع التفاسير ، تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث ، وما هو إلا كذب على العرب ، ووضع مستحدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه : أجزأت المرأة ، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً :

* إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فَلاَ عَجَبٌ *(١١٦).

* زوّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً *(١١٧) .

وقد تبع الإمام الزمخشري في إنكار هذه اللغة والحكم عليها بالافتراء أبو حيان، وابن جزي، والقرطبي، وابن عادل، وابن عاشور، وإسماعيل حقي(١١٨) .

بيد أن الزمخشري قد جانبه الصواب في الحكم على هذا القول بأنه من بدع التفاسير، إذ إن الأمر لم يسلم له ولمن تبعه ، فقد ردّه عليهم بعض المفسرين كالشوكاني؛ حيث يقول: " وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير، وصرح بأنه مكذوب على العرب، ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد، وهما إماما اللغة العربية وحافظاها، ومن إليهما المنتهى في معرفتها " (١١٩)، ويقول الماوردي على سبيل الجزم: " والجزء عند أهل العربية البنات ، يقال: قد أجزأت المرأة ، إذا ولدت البنات، قال الشاعر:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فلا عَجَبٌ قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أَحْيانا (١٢٠)

ويقول الفخر الرازي: " وزعم صاحب الكشاف أن هذه اللغة فاسدة، وأن هذه الأبيات مصنوعة " (١٢١) .

ويضيف الألوسي توجيهاً آخر يحسم تلك القضية ، وهو قوله : " ووجّه بعضهم ذلك بأن حوّاء خلقت من جزء آدم عليه السلام فاستعير لكل الإناث" (١٢٢)، وهذا ما يفهم من ظاهر كلام صاحب اللسان ، حيث يقول: " وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ قال أبو إسحاق : يعني به الذين جعلوا الملائكة بناتِ اللهِ ، تعالى اللهُ وتقدس عما افتروا ، قال : وقد أنشدت بيتاً يدل على أن معنى جزءاً معنى الإناث قال : ولا أدري البيت هو قديم أو مصنوع ؟

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فلا عَجَبٌ قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أَحْيانا

والمعنى في قوله : ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ أي جَعَلوا نصيب اللّه من الولد الإناثَ ، قال : ولم أَجده في شعر قَديم ، ولا رواه عن العرب الثقاتُ، وأَجْزَأَتِ المرأَةُ : ولَدتِ الاناث ، وأَنشد أَبو حنيفة :

زوّجْتُها مِنْ بَناتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً للعَوْسَجِ اللَّدْنِ في أَبياتِها زَجَلُ (١٢٣)

ويعلق الإمام الشنقيطي على قول ابن منظور بقوله : " وظاهر كلامه هذا الذي نقله عن الزجاج أن قولهم : أجزأت المرأة إذا ولدت الإناث معروف ؛ ولذا ذكره، وذكر البيت الذي أنشده له أبو حنيفة كالمسلم له" (١٢٤).

وعلى ذلك فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب فيما ادعاه من أن تفسير الجزء بالإناث من بدع التفاسير ؛ وذلك لأن الجزء وإن لم يكن في الأصل بمعنى الإناث إلا أن أهل اللغة استنبطوا هذا المعنى من تلك الآية الكريمة ؛ لأنه فيها بمعنى الولد المفسر بالإناث ، كما يدل على ذلك سياق الآيات . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الثالث

ما جرى على خلاف معهود لغة القرآن .

الموضع الأول

قوله : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾(١٢٥).

اختلف المفسرون في تعيين المنادى في قوله تعالى على لسان السيدة مريم : ﴿ قَالَتْ رَبِّ ﴾ وكانوا في ذلك على قولين، أحدهما(١٢٦) : أنه نداء لجبريل عليه السلام ، وهو قول الثعلبي، والبغوي، والخازن، والقرطبي، وابن عادل .

وقد عدَّه الزمخشري من بدع التفاسير؛ حيث يقول: " ومن بدع التفاسير أن قولها : ﴿ رَب ﴾ نداء لجبريل عليه السلام بمعنى: يا سيدي "(١٢٧).

وقد حكاه عنه الخطيب الشربيني(١٢٨) واستبعده أبو حيان والألوسي، يقول أبو حيان: " ومن ذهب إلى أن قولها : (ربِّ) ... إنما هو نداء لجبريل لما بشرها ، ومعناه : يا سيدي فقد أبعد" (١٢٩) ، ويقول الألوسي: " وقيل: القائل جبريل عليه السلام وليس على سبيل الحكاية ، والقرينة عليه ذكر الملائكة عليهم السلام قبله ، وحمل ﴿ رَب ﴾ فيما تقدم على ذلك أبعد بعيد " (١٣٠) .

بيد أنه على الرغم من نسبة ابن الجوزي القول بأنه نداء لله ﷻ لجمهور المفسرين ، واستبعاد بعضهم القول بأنه نداء لجبريل عليه السلام إلا أنني أرى أنه قول له وجهته المعتبرة ، وليس ثمة مانع من قبوله شرعاً أو عقلا، فقد قال به مفسرون ممن لهم مكانتهم بين أئمة المفسرين .

وعليه فإن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في عدِّه من بدع التفاسير . هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣١) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (١٣٢) : أن معنى الآية الكريمة هو : فوقَّع قلوبهم بمعنى أنه أثَّر فيها .

وقد ضعفه الإمام الزمخشري ووصفه بأنه من البدع ؛ حيث يقول: " ومن بدع التفاسير فوقَّعَ قلوبهم، أي فأثر فيها " (١٣٣) .

بيد أني أرى أن الإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في ذلك ؛ لأن التأثير في القلوب إنما كان نتيجة لما فوجئوا به من ظهور الحق عليهم وبطلان سحرهم ، ويدعم ذلك قول النُضير بن شُميل في تفسير تلك الآية : فوقع الحق أي فزعهم وصدّعهم (كوقع الميقعة)(١٣٤)(١٣٥) .

الموضع الثالث

قوله ﷻ في حق موسى عليه السلام : ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ (١٣٦) .

اختلف المفسرون حول معنى هذه الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها(١٣٧): أنّ المقصود بـ (الرَّهْب): الكُم بلغة حمير، والمعنى: اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم؛ لأنه تناول العصا ويده في كمه، وهذا القول ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " ومن بدع التفاسير: أنّ الرهب: الكُمّ، بلغة حمير، وأنهم يقولون: أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة ؟ وهل سُمع من الأثبات الثقات الذين تُرتضي عربيتهم ؟ ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية ؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات

التنزيل ؟ على أن موسى عليه السلام ما كان علية ليلة المناجاة إلا زُرْمَانِقَةٌ(١٣٨) من صوف لا كُمَّي لها " (١٣٩) .

والإمام الزمخشري قد حالفه الصواب فيما قاله ؛ لأن ذلك لا يتناسب وبلاغة التنزيل الحكيم ، وقد تبعه في ذلك القرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والخطيب الشربيني، وابن عادل، والألوسي (١٤٠).

وقد أكد ذلك النيسابوري بقوله: " وقيل: إن (الرَّهْب) هو الكُمّ بلغة حمير، وزيّفه النقاد" (١٤١)، وعلى الرغم من زيف هذا القول إلا أن بعض المفسرين قد ذكروه بدون تعليق عليه ولا تعويل على عدم صحته(١٤٢)، وهذا يترتب عليه خطأ كبير في تفسير الآية الكريمة.

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الرابع
ما جاء مخالفاً للنظم والتركيب
الموضع الأول

قولـه تعـالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (١٤٣) .

اختلف المفسرون حول تعلق المشيئة الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها(١٤٤): أن في الآية تقديم وتأخير، وأن المشيئة متعلقة بالاستغفار الوارد في قول يعقوب عليه السلام:﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾، ومعنى الكلام : ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾ إن شاء الله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٤٥) وهذا قول ابن جريج ، والنحاس، والقرطبي(١٤٦) .

وقد جعله الإمام الزمخشري من البدع ؛ حيث يقول :"ومن بدع التفاسير أن قوله: ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من باب التقديم والتأخير،وأن موضعها ما بعد قوله : ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾ (١٤٧) في كلام يعقوب عليه السلام ،وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره " (١٤٨)، وقد وافقه في ذلك أبو حيان إذ يقول : " وهذا البِدْع من التفسير مروي عن ابن جريج ، وهو في غاية البعد ، بل في غاية الامتناع " (١٤٩) .

ولعل ما ذهب إليه الإمام الزمخشري من تضعيف هذا القول الأخير وإنكاره هو الصواب ؛ وذلك لما فيه من اعتساف للغة مما أدى إلى الابتعاد بالآية الكريمة عن المعنى العام للسياق، فضلا عن أن جمهور المفسرين على تضعيفه وبطلانه(١٥٠) ؛

حيث يقول الطبري: " فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجّة واضحة " (١٥١).

هذا، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (١٥٢) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ والموصوف بذلك ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها(١٥٣): أنه حال من فاعل ﴿ قُمْ ﴾ أول السورة ، والمراد بالنذير : محمدٌ ﷺ أي : قُمْ نذيراً للبشر ، أي : مخوفاً لهم . قاله الكسائي ، وأبو علي الفارسي، وروي عن ابن عباس ، وابن زيد ، واختاره الثعالبي(١٥٤)، وأنكره الفراء(١٥٥) ، وجاء في اللباب نقلاً عن ابن الأنباري ما نصه: قال بعض المفسرين: معناه: (يا أيّها المدثّر، قُم نذيراً للبشر)، وهذا قبيح لطول ما بينهما (١٥٦) ، ونقله عنه القرطبي ، وابن عادل (١٥٧) ، ووصفه الإمام الزمخشري بقوله : " وهو من بدع التفاسير " (١٥٨)، وحكاه عنه الخطيب الشربيني وابن جزي (١٥٩).

والحق أن الزمخشري قد حالفه الصواب في استبعاده هذا القول وجعله من بدع التفاسير ؛ وذلك لقبحه نتيجة لطول الفصل بين العامل وهو الفعل (قم) في أول السورة وبين معموله وهو (نذيرا) ، ويدعم ذلك قول القرطبي : " وقال بعض المفسرين معناه : (يأيها المدثر قم نذيرًا للبشر) وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما " (١٦٠) ،

ويقول أبو حيان : " ومن جعله متصلاً بـ (قم) في أول السورة ... فهو بمعزل عن الصواب " (١٦١) ، ويقول ابن جزي: " وقيل هو حال من هذه السورة ، أي : قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد " (١٦٢) .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث الخامس

ما جاء مخالفاً للصرف .

الموضع الأول

قولــه تعــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ (١٦٣) .

اختلف المفسرون حول معنى قوله : ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ وكانوا في ذلك على عدة أقوال(١٦٤)، أحدها : أن الألوف جَمْعُ (آلِف) على وزن (فاعِل) كشاهد وشُهود وقاعِد وقُعود، أي: خَرَجوا وهم مؤتلفون ، وهو قول ابن زيد ، واختيار ابن عرفة ؛ حيث يقول: " ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أي متآلفون مجتمعون ، خرجوا في وقت واحد فارين من الموت " (١٦٥).

وهذا القول ضعفه الإمام الزمخشري بقوله: " وهذا من بدع التفاسير" (١٦٦) ، وحكى ذلك عنه أبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عادل (١٦٧) .

بيد أن الرازي قد وجَّه هذا القول توجيها سائغًا حسناً ؛ حيث ذكر أن: " المراد كون كل واحد منهم آلفاً لحياته ، محباً لهذه الدنيا فيرجع حاصله إلى ما قال تعالى في صفتهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (١٦٨)، ثم إنهم مع غاية حبهم للحياة والفهم بها أماتهم الله تعالى وأهلكهم ، ليعلم أن حرص الإنسان على الحياة لا يعصمه من الموت ، فهذا القول على هذا الوجه ليس في غاية البعد " (١٦٩) .

ولعلّه بهذا التوجيه البديع قد اتضح المعنى ، وعلى هذا فالإمام الزمخشري قد جانبه الصواب في تضعيف هذا القول وعدّه من بدع التفاسير .

والوجه الراجح والأولى بالقبول عندي هو القول بأن المراد به ليس إحصاء العدد على سبيل الحقيقة ، وإنما على سبيل المجاز لبيان الكثرة والمبالغة ؛ إذ إن القرآن الكريم لم ينص على عدد معين ، ولم يرد في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ يمكن الاستناد إليه.
هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

الموضع الثاني

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ (١٧٠) .

اختلف المفسرون حول المراد بـ (إمامهم) في الآية الكريمة ، وكانوا في ذلك على عدة أقوال، أحدها (١٧١): أن الإمام جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم .

وقد ضعفه الإمام الزمخشري بقوله : " ومن بدع التفاسير : أن الإمام جمع أمّ ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم ، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وأن لا يفتضح أولاد الزنا ، وليت شعري أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟ " (١٧٢) .

ولعلّ الإمام الزمخشري قد حالفه الصواب في الحكم عليه بأنه من بدع التفاسير؛ وذلك لأن جمع (أم) أمات وأمهات ، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب جعلها الله ﷻ شرفاً له وآية ، ولم يذكره الله في القرآن إلا منسوباً لأمه ، تنبيهاً لعابديه على أنه مخلوق، وإظهار شرف الحسن والحسين لا يحتاج إلى هذه الحكمة المخترعة ، وأولاد الزنا إن كانوا صالحين فلا يضيرهم أن يدعوا بأمهاتهم ، بل إن بركة صلاحهم هي التي تنفعهم في ذلك الموقف العظيم فلا يفضحهم الله تعالى .

وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين ؛ حيث تعقبه بعضهم مبيِّناً فساده وبطلانه(١٧٣)، على حين حكاه بعضهم بلا تعقيب ، ولا بيان بطلان(١٧٤)، واكتفى بعضهم بتعليق الإمام الزمخشري عليه (١٧٥) ، واعتمده بعضهم كالبيضاوي ؛ حيث وجهه

بأن الأم تجمع على إمام ، كخف وخفاف(١٧٦) وإن صح له هذا فما باله بقراءة الحسن البصري: (بكتابهم) ؟ فهي وإن كانت شاذة ، تجري مجرى الآحاد في تعيين المعنى المراد، وأيضاً فإن الآية تفيد دعاء (كل أناس) باعتبارهم جماعة يتبعون داعياً من الدعاة ، أو كتاباً من الكتب .

وحكمة الدعاء على هذا الوجه : إظهار فضل أهل الحق وفوزهم ، وهم أتباع القرآن ودين الإسلام ، وإظهار خسران غيرهم ، وهم أتباع أي دين غير دين الإسلام .

والصواب أن الإنسان ينادى يوم القيامة باسمه واسم أبيه وليس أمه، ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن ابن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ له لِوَاءٌ يوم الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: هذه غَدْرَةُ فلانِ ابن فُلانٍ»(١٧٧)، وهذا ما يضعِّف قول البيضاوي ويدفعه .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

المبحث السادس

ما جاء محمولاً على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل

وذلك في موضع واحد وهو قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (١٧٨).

اختلف المفسرون في معنى الآية، وكانوا في ذلك على قولين ، أحدهما (١٧٩): أن المعنى: لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو مذهب أهل الرأي ما كنا في أصحاب السعير .

وقد ضعفه الإمام الزمخشري وعدَّه من بدع التفاسير وحكاه عنه الرازي، والنيسابوري(١٨٠)، ثم أضاف الزمخشري قائلاً على سبيل السخرية والتهكم على أصحاب هذا القول: " كأنّ هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين، وكأن سائر أصحاب

المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم، وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة، وعدّة المبشرين من الصحابة: عشرة، لم يضم إليهم حادي عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين" (١٨١).

والحق أن الزمخشري قد أنصف في استبعاده هذا القول، وبذلك فقد حالفه الصواب، بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل فسَّر أحد الآية بمثل ما قال الزمخشري؟ يقول ابن عاشور: " ومن العجيب ما ذكره صاحب الكشاف: أن من المفسرين من قال: إن المراد من الآية: لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي . ولم أقف على تعيين من فسر الآية بهذا و لا أحسبه إلا من قبيل الاسترواح " (١٨٢) .

هذا ، والله تعالى أعلم بمراده .

ـــ (الهوامش) ـــ

(١) سورة يوسف ، الآية [٢] . (*)انظر بدع التفاسير لأبي عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ، ط٢ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م . (٢) سورة هود ، الآية [٨٨] .

(*) انظر على سبيل المثال:كتاب العين واللسان والقاموس والتاج والمغرب في ترتيب المعرب ومعجم مقاييس اللغة ومختار الصحاح والمعجم الوسيط ، مادة (بدع) ، والتعريفات للجرجاني ص٦٢ ، والتحرير والتنوير ٢٨/١ .

(٣) أخرجه الإمام الدارمي في سننه ٤٤٣/١ حديث رقم [٥٢٩] .

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ١٥٩/٢ حديث رقم [٣٧٨] .

(٥) أخرجه الإمام أبو داود في سننه ٦١٠/٢ حديث رقم [٤٦٧] .

(٦) سورة البقرة ، الآية [١٨٧] .

(٧) والأخرى: أن المعنى: واطلبوا ما قسم الله لكم، وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة. وقيل: المراد النهي عن العزل؛ لأنه في الحرائر. وقيل: المعنى وابتغوا المحل الذي أحله الله لكم دون المحل المحرم. وقيل: المعنى وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر. وقيل: المقصود هو القرآن. وقيل: المراد بما كتبه الله الزوجة والمملوكة. انظر: جامع البيان للطبري٥٠٦/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم٣١٧/١، والكشاف للزمخشري٢٥٧/١ ، والبحر المحيط لأبي حيان٥٧/٢ ومفاتيح الغيب للرازي٩٢/٥، وتفسير ابن كثير ٥١٢/١، واللباب لابن عادل٣١١/٣ ، وكتاب تحفة المودود لابن القيم ٨/١ .

(٨) الكشاف ٢٥٧/١ . (٩) انظر البحر المحيط ٧٥/٢ .

(١٠) انظر مفاتيح الغيب ٩٣/٢ . (١١) المصدر السابق .

(١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٧ .

(١٣) سورة البقرة، الآية [٢٨٢] .

(١٤) والآخر: أن المراد أن تُذكِّر إحداهما الأخرى إن نسيت ، وهو ما عليه أكثر المفسرين . انظر: جامع البيان٦٧/٦، وتفسير ابن أبي حاتم٥٦٢/٢ ، النكت والعيون٣٥٦/١، والدر المصون٦٦٢/٢، وزاد المسير ٣٣٨/١ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي٢٦١/٢ ، ومفردات الراغب ص٢٠١ .

(١٥)انظر غريب الحديث للخطابي٩٨/٢.

(١٦)انظر زاد المسير ٣٣٨/١ . وهو محمد بن الحسين بن محمد الفقيه الحنبلي .

(١٧) الكشاف ٣٥٣/١ .

(١٨) انظر الدر المصون ٦٦٣/٢ ، واللباب٤٧٥/٤، والسراج المنير ٢١٥/١ .

(١٩) انظر على سبيل المثال : الكشف والبيان ٢٩٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٣٥١/١ ولباب التأويل ٣٠٧/١ ، وغرائب القرآن ٧٥/٢ ، والمحرر الوجيز ٣٨١/١ ومعاني النحاس ٣١٨/١ .

(٢٠) انظر اللباب في علوم الكتاب ٤٧٥/٤ ، والدر المصون ٦٦٣/٢ .

(٢١) تفسير ابن كثير ٧٢٤/١ . (٢٢) مفاتيح الغيب ١٠٠/٧ .

(٢٣) فتح القدير ٣٠٢/١ . (٢٤) سورة النساء ، الآية [١٦٤] .

(٢٥) والآخر: أنَّ (كَلَّمَ) بمعنى (حَدَّثَ) فالكلام إذن هو الحديث. انظر: تفسير مقاتل ابن سليمان٢٧١/١ ، ومعالم التنزيل ٣١١/٢، ومدارك التنزيل ٣٨٢/١، وتفسير ابن كثير٤٧٣/٢، وبحر العلوم٣٨٢/١، والكشاف٦٢٤/١، والسراج المنير ٢٧٧/١، والمحرر الوجيز ١٦١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن٦٤٢/٣، والبحر المحيط٤١٤/٣، وزاد المسير ٢٥٦/٢، وفتح القدير ٥٣٨/١، وروح المعاني١٨/٦، .

(٢٦) الكشاف ٦٢٤/١. (٢٧) انظر البحر المحيط ٤١٤/٣.

(٢٨) انظر مجموع الفتاوى١٦٥/٣. (٢٩) انظر الصواعق المرسلة ٢١٧/١ .

(٣٠) انظر العقود الدرية ص٢٢٨ . (٣١) انظر اللباب في علوم الكتاب١٣٠/٧ .

(٣٢) البرهان في علوم القرآن ٣٩٣/٢ . (٣٣) مفاتيح الغيب ٨٨/١١ .

(٣٤) الانتصاف٥٧٧/١. (٣٥) سورة الشعراء، الآيتان [٨٨ ، ٨٩] .

(٣٦) والأخرى: أنه السليم من الشرك. وقيل: السليم من الشك. وقيل: السليم من آفات المال والبنين. وقيل: السليم من البدعة المطمئن على السنة. وقيل: السليم هو الصحيح. وقيل: السليم هو الخالص. وقيل: لا يكون لعانا. وكلها متقاربة. انظر الكشف والبيان١٧١/٧، والجامع لأحكام القرآن ٤٩٢/٧، وفتح القدير ١٠٦/٤ وزاد المسير ١٣٠/٦ ، والنكت والعيون ٥٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٠/١٥ ، والسراج المنير ٤٠/٣ .

(٣٧) الكشاف ٣٢٦/٣ . (٣٨) وقد تبعه في ذلك أبو حيان وابن جزي والخطيب الشربيني والشوكاني. يقول أبو حيان: وقال الزمخشري: هو من بدع التفاسير وصدق" وقال الشوكاني: " وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن". انظر: البحر المحيط٢٥/٧، والتسهيل٨٧/٣ ، والسراج المنير ٤١/٣، وفتح القدير ١٠٦/٤ .

(٣٩) ومن ثم فلم يتبعه فيه سوى الخطيب وحده انظر السراج المنير ٤١/٣

(٤٠) روح المعاني ١٠١/١٩ . (٤١) سورة الأحزاب، الآية [٢٧] .

(٤٢) والأخرى: أنها أرض خيبر. وقيل: أرض مكة. وقيل: أرض فارس والروم. وقيل: أرض اليمن. وقيل: المراد بها القلاع أنفسها. وقيل: المقصود بها ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة. وقيل: أرض بني النضير. وقيل: أرض بني قريظة. انظر: البحر المحيط ٢١٩/٧ ، وغرائب القرآن ٤٥٧/٥ والدر المنثور ٥٩٢/٦ ، واللباب ٥٣٢/١٥ ، وروح المعاني ١٨٠/٢١ .

(٤٣) انظر هذا القول في: اللباب ٥٩٠/٦ ، والمثل السائر ١٩١/٢ ، ونزهة الأعين النواظر ص١٧١ ، وشرح نهج البلاغة ١٦/٥ وتاريخ مكة المشرفة لأبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي ص٢٦٣ .

(٤٤) الكشاف ٥٤٢/٣ . (٤٥) انظر البحر المحيط ٢١٩/٧ ، والسراج المنير ٢٩٨/٣ ،ورح المعاني ١٨٠/٢١.

(٤٦) غرائب القرآن ٤٥٧/٥ . (٤٧) سورة التحريم ، الآية [١٢] .

(٤٨) والآخر: أن الفرج على حقيقته، وأحصنته: صانته من كل مباشرة شرعية أو غير شرعية. انظر: معالم التنزيل ١٧١/٨ ، والكشف والبيان ٣٥٢/٩ ، وتفسير ابن كثير ١٧٣/٨ ، والنكت والعيون ٤٦٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٠ ، والبحر المحيط ٣١٢/٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٢١٩/١٩ ، ونظم الدرر ٦٠/٨ ، والوجيز للواحدي ص١١١٤ ، ولباب التأويل ١٢٣/٧ ، وبحر العلوم ٤٥٠/٣ ، والبحر المديد ٥٦٤/٤ ، وتفسير الجلالين ص٤٣٩ .

(٤٩) يريد: امرأة فرعون . (٥٠) الكشاف ٥٧٧/٤ .

(٥١) انظر روح المعاني١٦٤/٢٨، وروح البيان١٠/٤٧. (٥٢) الجواهر٦٤/٣ .

(٥٣) أضواء البيان ٣٩٠/٣. (٥٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن١٠/١٠٧، والمحرر الوجيز ٣٠٩/٥ ، واللباب ٢١٩/١٩ ، وروح المعاني ١٦٤/٢٨ .

(٥٥) انظر جامع البيان ٥٠٠/٢٣ . (٥٦) البرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٢ .

(٥٧) روح البيان ٤٧/١٠ . (٥٨) سورة مريم ، الآية [٢٠] .

(٥٩) سورة الضحى ، الآية [٦] . (٦٠) والأخرى: أنّ أباه تُوفّي وهو جنين في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. وقيل: معناه ألم يجدك يتيما أَبَتْكَ المراضع فآواك من مرضعة تحنو عليك. وقيل: معناه راجع إلى معنى قوله ﷻ :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي

ليتولى الله تعالى أمره من صغره. وقيل: المعنى رآك يتيماً فآواك إلى صدف النبوة، ومشكاة الولاية. انظر: الكشاف٤/٧٧٢، وتفسير ابن كثير ٨/٤٢٦ ، ومفاتيح الغيب٣١/١٩٤، ولباب التأويل٧/٢٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٠/٥٨١ ، وفتح القدير٥/٤٥٨، والسراج المنير ٤/٤٠٣، والبحر المحيط٨/٤٨١، وروح المعاني ٣٠/١٦١ ، وأضواء البيان ٨/٥٥٩ ، وروح البيان ١٠/٣٥٢ .

(٦١) انظر الجامع لأحكام القرآن١٠/٥٨١ ، وفتح القدير ٥/٤٥٨ .

(٦٢) الكشاف ٤/٧٧٢ . (٦٣) انظر البحر المحيط٨/٤٤٨ ، والسراج المنير٤/٤٠٣ ، وروح المعاني٣٠/١٦٢، وروح البيان ١٠/٣٥٢ .

(٦٤) فتح القدير٥/٤٥٨. (٦٥) السراج المنير٤/٤٠٣. (٦٦) الشرح، الآية [٧] .

(٦٧) الكشاف ٤/٧٧٧ ، وحكاه عنه السمين الحلبي، وابن عادل، وإسماعيل حقي. انظر الدر المصون١١/٤٩ ، واللباب٢٠/٤٠٣ ، وروح البيان ١٠/٤٦١ .

(٦٨) المحرر الوجيز ٥/٤٦٩ .

(٦٩) انظر البحر المحيط٨/٤٨٤ ، والدر المصون ١١/٤٩ ، واللباب ٢٠/٤٠٣ .

(٧٠) أحكام القرآن ٤/٤١٣ ، وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن ١٠/٥٩٣ .

(٧١) سورة قريش ، الآية [٤] .

(٧٢) والأخرى: أنّ هذا الأمن من الخوف كان بسبب دعوة الخليل إبراهيم. وقيل: إن العرب كان يَغِير بعضهم على بعض ، ويسبي بعضهم بعضاً، فأمنت قريش ذلك لمكان الحرم. وقيل: المعنى شق على قريش السَّفر في الشتاء والصيف، فألقى الله ﷻ في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً في السَّفر، فخافت قريش منهم وظنُّوا أنهم خرجوا لحربهم، فخرجوا إليهم متحرزين، فإذا هم قد جلبوا لهم الطعام، وأعانوهم بالأقوات، فكان أهلُ مكة يخرجون إلى جدة بالإبل فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين. وقيل: المقصود به هو أن قريشاً لما كذبوا النبي ﷺ دعا عليهم، فقال:« اللّهُمَّ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» فاشتد القحط ، فقالوا: يا محمد، ادعُ الله لنا فإنا مؤمنون، فدعا لهم رسول الله ﷺ فأخصبت (تبالة) و (جرش) من بلاد" اليمن"، فحملوا الطعام إلى مكة ، وأخصب أهلها. وقيل: المراد أنه آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل. وقيل: آمنهم من خوف الجذام. وقيل: آمنهم من خوف الطاعون والدخان. وقيل: آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام. وقيل: كفاهم أخذ الإيلاف من الملوك .انظر: جامع البيان٢٤/٦٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم١٠/٣٤٦٧ والسراج

المنير ٦٨٨/٤،ولباب التأويل٢٩٩/٧، والنكت والعيون٣٤٩/٦ ، والجامع لأحكام القرآن٦٩٣/١٠، والبحر المديد٥٤٠/٨ ، واللباب ٥١٠/٢٠.

(٧٣) الكشاف ٨٠٧/٤ ، وتبعه الخطيب الشربيني ، وإسماعيل حقي. انظر السراج المنير ٦٨٨/٤ ، وروح البيان ٥١٩/١٠ .

(٧٤)غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٧١/٦ . (٧٥) روح المعاني ٢٤١/٣٠ .

(٧٦) انظر النكت والعيون ٣٤٩/٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٦٩٣/١٠ ، واللباب٥١٠/٢٠ .

(٧٧) سورة الرعد ، الآية [١٣] .

(٧٨) والأخرى: أن الرعد اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب. وقيل:الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص، وهو يسبح الله تعالى. وقيل: المراد بتسبيح الرعد تسبيح من يسمعه. وقيل: الرعد ريح تختنق بين السحاب. انظر: مفاتيح الغيب ٢١/١٩ ، والمحرر الوجيز ١٠٢/١ ، وإرشاد العقل السليم ٩/٥ ، والسراج المنير ١٦٦/٢ ، والبحر المحيط ٣٦٦/٥ ، واللباب ٢٧٤/١١ ، والمحرر الوجيز ٣٠٨/٣ ، وروح المعاني ١١٨/١٣ ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ص٢٩٧ .

(٧٩) الكشاف ٤٨٩/٢ . وحكاه عنه الفخر الرازي، وأبو حيان، والنيسابوري، انظر: مفاتيح الغيب٢٢/١٩ ، والبحر المحيط ٣٦٦/٥، وغرائب القرآن ١٤٧/٤ . (٨٠) روح المعاني ١٣٧/١٣ .

(٨١) المخاريق: جمع مِخْراق، والمراد به هنا: آلة تزجُر بها الملائكة السحاب وتسُوقه. انظر لسان العرب ، مادة: (خرق).

(٨٢) سنن الترمذي ٢٩٤/٥ رقم [٣١١٧] ، وحسّنه الألباني .

(٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم٥٥/١ ، والكشف والبيان٢٧٩/٥ ، وتفسير مقاتل ابن سليمان١٧٠/٢ ، ومعالم التنزيل٣٠٣/٤، والسراج المنير١٦٦/٢ ، والوجيز ص٥٦٧، وروح البيان٢٣١/٤، ولباب التأويل٩/٤ ، وغرائب القرآن١٥٧/٤ ، ومعاني النحاس٤٨٢/٣ ، وبحر العلوم٢٢٠/٢، والتسهيل١٣٢/٢، والبحر المديد ٣٢٦/٣ ، والدر المنثور ٦٢٢/٤ ، والاستذكار لابن عبد البر ٥٨٨/٨ ، وتفسير الجلالين ٣٢٣/١ ، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١٤/٣ .

(٨٤) كالشيخ السعدي. انظر تيسير الكريم الرحمن ص٤١٤ .

(٨٥) كـأبي حيـان والألوسـي. انظـر البحـر المحـيط ٣٦٦/٥ ، وروح المعـاني ١١٨/١٢.

(٨٦) سورة النحل الآية [٦٨] .

(٨٧) والآخر: أن ﴿ ٱلنَّحۡلِ ﴾ : اسم جنس جمعي ، واحده نحلة وهذا على أن المراد حقيقة النحل ، وهو ما أجمع عليه المفسرون. انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٢٨٩/٧ ، ومعالم التنزيل ٢٩/٥ ، ومدارك التنزيل٢٤٣/٢ ، والكشاف٥٧٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٨٢/٤ ، والكشف والبيان٢٨/٦ ، ولباب التأويل١٠٠/٤ ، ومفاتيح الغيب ٥٧/٢٠ ، والبحر المحيط ٤٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن١٣٣/١٠ ، والسراج المنير٢٧٣/٢ ، والمحرر الوجيز٤٠٨/٣ ، واللباب١١٠/١٢ ، وإرشاد العقل السليم١٢٥/٥ ، وروح البيان٥١/٥ ، وفتح القدير١٧٥/٣ ، وروح المعاني١٨١/١٤ ، والتحرير والتنوير١٦٤/١٣ .

(٨٨) ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان ما نصه : " كان بشار جالساً في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر: ما عندكم في قول الله ﷻ ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾ فقال له بشار: النحل التي تعرفها الناس، فقال: هيهات يا أبا معاذ، النحل بنو هاشم وقوله: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ ﴾ يعني أهل العلم ، فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم ، فقد أوسعت غثاثة ، فغضب وشتم بشارا ، وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل: فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث. وفيات الأعيان ٤٢٣/١ .

(٨٩) الكشاف٥٧٦/٢. (٩٠) انظر تفسير النسفي٤٢٠/٢، وروح المعاني١٨٧/١٤ .

(٩١) انظر الإحكام لابن حزم ٣٠٢/٣ . (٩٢) انظر الأغاني ١٥١/٣ .

(٩٣) انظر معاهدة التنصيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ٢٩١/١ .

(٩٤) سورة الكهف ، الآية [٦٠] . (٩٥) والأخرى: أنه بحر فارس وبحر الروم. وقيل: عند طنجة. وقيل: هما الكر والرس. وقيل: هما بحر ملح وبحر عذب. وقيل: عند إفريقية. وقيل: هو بحر الأندلس. وقيل: هما بحر الأردن وبحر القلزم. انظر: الكشاف٦٨٣/٢، والبحر المحيط١٣٦/٦،

والمحرر الوجيز٣/٥٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن١١/٩ ، وفتح القدير٣/٢٩٨ ، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٣٢ ، وروح المعاني ١٥/٣١٢ وأضواء البيان ٣/٣٢١ .

(٩٦) الكشاف ٢/٦٨٣ . (٩٧) انظر أقوالهم في: المحرر الوجيز٣/٥٥٤ ، والبحر المحيط٦/١٦٣، والجامع لأحكام القرآن١١/٩، وغرائب القرآن٤/٤٤٥ وفتح القدير٣/٢٩٨، وروح المعاني١٥/٣١٢، وفتح الباري٨/٤٠٨. (٩٨) بدع التفاسير ص٨٤ .

(٩٩) انظر: تفسير الصنعاني٢/٤٠٥، والوجيز ص٦٦٦، وبحر العلوم٢/٣٥٤، والسراج ٢/٣٠٥، ومعاني النحاس٤/٢٦٣، وزاد المسير٥/١٦٤ .

(١٠٠) البحر المديد ٤/٢٤٩ . (١٠١)انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٩٤ .

(١٠٢) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ص٢٧٧.

(١٠٣) مفاتيح الغيب ٢١/١٢٤. (١٠٤) انظر اللباب في علوم الكتاب ١٢/٥٢٣ .

(١٠٥) أضواء البيان ٣/٣٢١ . (١٠٦) سورة ص ، الآيتان [٣٢ ،٣٣] .

(١٠٧) والأخرى: أن الضمير يعود على الشمس، والحجاب: الاستتار بما يحجبها عن الأبصار. وقيل: الضمير يعود على (الصافنات)، والمراد بالحجاب حجاب الليل وهو الظلام. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان٣/٢٦٧، ومعالم التنزيل ٧/٨٩، والكشف والبيان٨/٢٠١ ، وجامع البيان ٢١/١٩٤ ، والكشاف ٤/٩٤ ، ومفاتيح الغيب ٢٦/١٧٩ ، والبحر المحيط٧/٣٨٠ ، وإرشاد العقل السليم٧/٢٢٦ ، وروح البيان٨/٢ ، والتسهيل٣/١٨٥ ، والنكت والعيون ٥/٩٣ والجامع لأحكام القرآن٨/٥٥٨ ، واللباب ١٦/٤١٥ ، وتفسير النسفي٤/٣٤ ، وفتح القدير ٤/٤٣١، والمحرر الوجيز ٤/٥٧٤ ، وزاد المسير ٧/١٣٠ ، والجواهر الحسان ٤/٣٨ ، والبرهان ٣/١٤٤ ، والسراج المنير ٣/٤٩٧ ، وروح المعاني ٢٣/١٩٦ والتحرير والتنوير ٢٣/١٥٢ ، والتفسير الوسيط للدكتور طنطاوي١٢/١٦١ .

(١٠٨) الكشاف ٤/٩٤ . (١٠٩) انظر معالم التنزيل٧/٨٩ ، والكشف والبيان٨/٢٠١ ، ولباب التأويل٦/٥٥ والجامع لأحكام القرآن ٨/٥٥٩ .

(١١٠) روح المعاني ٢٦/١٧٢ .

(١١١) انظر الدخيل في التفسير للدكتور محمد يحيى عبد المنعم ١/١٥ .

(١١٢) سورة الزخرف ، الآية [١٥] .

(١١٣) والأخرى: أن المراد بـ (الجزء) العِدْل والنظير، وذلك هو الأصنام، وفرعون، ومن عُبد من دون الله ﷻ. وقيل: إن المقصود بـ (الجزء) هنا: النصيب. انظر: تفسير مجاهد ٥٨٠/٢ ، ومعالم التنزيل٢٠٨/٧، والكشف والبيان ٣٢٩/٨ ، والكشاف٢٤٥/٤، وتفسير ابن كثير ٢٢٢/٧ ، ولباب التأويل١٣١/٦، وأنوار التنزيل١٤١/٥، وتفسير الجلالين٦٤٨ ، وزاد المسير٣٠٥/٧، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣٧٢ ، وخلق أفعال العباد للبخاري ص٥٣ ، والدر المنثور ٣٢٩/٧ ، والنكت والعيون ٢١٩/٥ ، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣٧٢.

(١١٤) انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب فاطمة عليها السلام ص٧١٠ حديث رقم [٣٧١٣] .

(١١٥) الكشاف ٢٤٥/٤ .

(١١٦) هذا صدر بيت من بحر البسيط لم أقف على قائله وعجزه:

* قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أَحْيانا *

قيل: " الجزؤ " اسم للأنثى، واشتقوا منه أجزأت المرأة ، إذا ولدت جزءًا أي أنثى ، والمعنى: إن ولدت امرأة حرة أنثى في بعض الأحيان فلا عجب ؛ فإن الحرة التي تلد الذكور كثيراً قد تلد أنثى في بعض الأوقات. وقيل: حرة الأولى اسم امرأة ، والثانية صفة. انظر: مشاهد الأنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان حاشية الكشاف ٢٣٤/٤. والبيت في اللسان مادة: جزأ .

(١١٧) هذا صدر بيت من بحر البسيط لم أقف على قائله أيضا ، وعجزه:

* للعَوْسَجِ اللَّدْنِ في أَبياتِها زَجَلُ *

قيل: " المجزئة " التي تلد البنات. والجزؤ البنت، والعوسج: ضرب من الشوك. والمراد به:عود المغزل المتخذ منه، واللدن: اللين والزجل: صوت دوران المغزل ونحوه، وزوجتها: مبني للمجهول. وروي " نكحتها من بنات الأوس" هو أبو قبيلة سميت باسمه، تلد تلك المرأة البنات ، وجعل العوسج لدناً ؛ لأنه أكثر دوياً ورنيناً في دورانه.انظر: مشاهد الأنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان حاشية الكشاف٢٣٥/٤

(١١٨) انظر البحر المحيط١٠/٨، والتسهيل ٢٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن٦٦/٩ ، واللباب٢٤٠/١٧ ، والتحرير والتنوير٢٢٥/٢٥ ، وروح البيان ٣٤٩/٨ .

(١١٩) فتح القدير ٥٤٩/٤ .

(١٢٠) النكت والعيون ٢١٩/٥ .

(١٢١) مفاتيح الغيب ١٧٣/٢٧ .

(١٢٢) روح المعاني ٦٩/٢٥ .

(١٢٣) لسان العرب، مادة: (جزأ) . (١٢٤) أضواء البيان ٨٩/٧ .

(١٢٥) سورة آل عمران ، الآية [٤٧] .

(١٢٦) والآخر: أنه نداء لله ﷻ ، ونسبه ابن الجوزي لجمهور المفسرين. انظر: جامع البيان ٢٧٣/٣ ، والكشف والبيان ٦٩/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٦٥/١ ، ونظم الدر ٩٠/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥/٣ ، ولباب التأويل ٣٤٩/١ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٣١/١ ، وإرشاد العقل السليم ٣٧/٢ ، وزاد المسير ٣٩٠/١ ، والتحرير والتنوير ٩٩/٣ .

(١٢٧) الكشاف ٣٩١/١ . (١٢٨) انظر السراج المنير ٢٤٧/١ .

(١٢٩) البحر المحيط ٤٨٤/٢ . (١٣٠) روح المعاني ١٦٤/٣ .

(١٣١) سورة الأعراف ، الآية [١١٨] .

(١٣٢) والآخر: أن الوقوع بمعنى ثبوت الشيء واستقراره، وقد يطلق الوقوع على الحصول، والمعنى: فظهر الحق وحصل. وهو قول جمهور المفسرين. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤٠٧/١ ، وجامع البيان ٣١/١٣ ، ومعالم التنزيل ٢٦٥/٣ ، ومدارك التنزيل ٦٢/٢ ، ولباب التأويل ٢٧٢/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٢٤/٤ ، ومفاتيح الغيب ١٦٧/١٤ ، والنكت والعيون ٢٤٦/٢ ، والجواهر الحسان ٤٤/٢ ، وبحر العلوم للسمرقندي ٥٥٤/١ ، وأنوار التنزيل ٤٨/٣ ، والسراج المنير ٥٧٤/١ ، وروح البيان ١٦١/٣ ، والبحر المديد ٥٢٦/٢ ، والتحرير والتنوير ٢٣٦/٨ .

(١٣٣) الكشاف ١٣٣/٢، وحكى ذلك عنه أبو حيان، انظر البحر المحيط٣٦٤/٤ .

(١٣٤) الميقعة : المطرقة . انظر اللسان والتاج ، مادة : (وقع) .

(١٣٥) انظر هذا القول في الكشف والبيان٢٧٠/٤. (١٣٦) القصص، الآية [٣٢]

(١٣٧) والأخرى: أنّ موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب، فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء. وقيل: إذا هالك أمر لما يغلب من شعاعها ، فاضممها إليك تسكن. وقيل: إن المراد بضم جناحه إليه هو تجلده وضبطه نفسه، وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب،. انظر: الكشاف ٤١٢/٣ ، والبحر المحيط ١١٢/٧ ، ولباب التأويل ١٧٣/٥ ، وغرائب القرآن ٣٤١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٥٢/٧ ، وزاد المسير ٢٢٠/٦ ، والتفسير الوسيط ٤٠٤/١٠.

(١٣٨) الزُّرْمَانِقَةُ: جبة صوف. انظر اللسان والقاموس والتاج ، مادة (زرم) .

(١٣٩) الكشاف ٤١٣/٣ .

(١٤٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦٥٣/٧، والبحر المحيط١١٢/٧، والدر المصون٦٧١/٨، والسراج المنير١٤٤/٣، واللباب٢٥٠/١٥، وروح المعاني ٧٦/٢٠ . (١٤١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٤١/٥ .

(١٤٢) انظر: معالم التنزيل ٢٠٧/٦ ، والكشف والبيان ٢٤٩/٧ ، ولباب التأويل ١٧٣/٥ ، والنكت والعيون ٢٥٢/٤ . (١٤٣) سورة يوسف ، الآية [٩٩]

(١٤٤) والأخرى: أن المشيئة متعلقة بدخولهم مصر. وقيل: متعلقة بالأمن لا بالدخول. وقيل: (إنْ) هنا بمعنى (إذْ) الدالة على المضيّ، فالمراد: إذْ شاء الله .انظر: معالم التنزيل ٢٧٩/٤ ، والكشف والبيان ٢٥٨/٥ ، وجامع البيان ٢٦٦/١٦ ، والكشاف ٤٧٦/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٦٨/١٨ ، وتفسير ابن كثير ٤١١/٤ ، ولباب التأويل٣١٦/٣ ، وزاد المسير ٢٨٩/٤ ، واللباب ٢١٢/١١ ، والنكت والعيون ٨١/٣ ، وبحر العلوم ٢١٠/٢ ، ولباب التأويل ٣١٦/٣ ، والوجيز ص٥٦٠، وتفسير ابن كثير ٤١١/٤ ، والبحر المحيط ٣٤١/٥ ، وأنوار التنزيل ٣٠٩/٣ ، والسراج المنير ١٠٩/٢، وإرشاد العقل السليم ٣٠٧/٤ ، ونظم الدرر ٩٨/٤، وغرائب القرآن ١٢٥/٤ ، وروح المعاني ٥٧/١٣ ، وروح البيان ٢٠٨/٤ ، والتحرير والتنوير ١١٨/١٢ .

(١٤٥) سورة يوسف ، الآية [٩٨] . (١٤٦) انظر تفسير ابن جريج ص١٧٧، ومعاني القرآن ٤٥٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٩ .

(١٤٧) سورة يوسف، الآية [٩٨] . (١٤٨) الكشاف٤٧٦/٢.

(١٤٩) البحر المحيط ٣٤١/٥ . (١٥٠) انظر: المحرر الوجيز٢٨١/٣ ، وفتح القدير ٥٦/٣.

(١٥١) جامع البيان ٢٦٦/١٦. (١٥٢) سورة المدثر، الآية [٣٦]

(١٥٣) والأخرى: أنه تمييز من (إحدى الكبر) لتضمنها معنى التعظيم ، كأنه قيل : أعظم الكبر إنذاراً ، وقيل: إنه مصدر بمعنى الإنذار منصوب بـ (أنذر) أول السورة كأنه قال: إنذارًا للبشر، وقيل: إن (النذير) على وزن (فعيل) بمعنى (مُفْعِل) وهو حال من الضمير في ﴿ إِنَّهَا﴾، وقيل: حال من (إحدى)، وقيل: حال من الضمير في (إحدى) لتأويلها بمعنى العظم، وقيل: حالٌ من ﴿ ٱلْكُبَرِ﴾ ، وقيل: حالٌ من الضمير في ﴿ ٱلْكُبَرِ﴾ ، وقيل: مفعول به منصوب بإضمار: (أعني)، وقيل: أنَّه منصوب على المفعولية بالفعل (ادع) مقدرًا ، على أن المراد به الله ﷻ ، وقيل: أنَّه منصوب على المفعولية بفعل مضمر، على أن المراد به رسول الله ﷺ ، وقيل:

منصوب على الحالية بما دلَّت عليه الجملة، وقيل: حال من ﴿ هُوَ﴾ في قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾، وقيل: مفعول لأجله ، النَّاصب له ما في ﴿ ٱلْكُبَر﴾ من معنى الفعل. انظر: اللباب ٥٢٩/١٩ ، ومشكل إعراب القرآن٧٧٤/٢، ومعاني الزجاج ٢٤٩/٥، والكشاف٦٥٥/٤، ومعالم التنزيل ٢٧٢/٨ ، والبحر المحيط ٣٧٠/٨ ، ولباب التأويل١٧٩/٧، والنكت والعيون١٤٧/٦، والجامع لأحكام القرآن٢٨٥/١٠، والكشف والبيان٧٦/١٠ ، والمحرر الوجيز٣٦٩/٥ ، وفتح القدير ٣٣١/٥ .

(١٥٤) انظر الجواهر الحسان ٣٦٢/٤ . (١٥٥) معاني الفراء ٢٠٥/٣ .

(١٥٦) اللباب ٥٢٩/١٩ . (١٥٧) انظر الجامع لأحكام القرآن٢٨٥/١٠ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٢٩/١٩ . (١٥٨) الكشاف ٦٥٥/٤ .

(١٥٩) انظر السراج المنير ٣١٦/٤ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٦٢/٤ .

(١٦٠) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/١٠ . (١٦١) البحر المحيط ٣٧٠/٨ .

(١٦٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٢/٤ . (١٦٣) سورة البقرة ، الآية [٢٤٣] .

(١٦٤) والأخرى: أن المراد منه بيان العدد على سبيل الحقيقة. وقيل: ليس بيان العدد على سبيل الحقيقة وإنما على سبيل المجاز لإفادة المبالغة والتكثير. انظر: جامع البيان ٢٦٦/٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٥٦/٢ ، والكشاف ٣١٧/١ والبحر المحيط ٢٥٩/٢، ومفاتيح الغيب ٤٩٥/٦ ، والنكت والعيون ٣١٢/١ ، وزاد المسير ٢٨٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٩/٢ ، والتفسير الوسيط ٥٥٦/١ .

(١٦٥) تفسير ابن عرفة ٦٩٢/٢ . (١٦٦) الكشاف ٣١٧/١ .

(١٦٧) انظر البحر المحيط ٢٥٩/٢ ، والدر المصون ٥٠٦/٢ ، واللباب ٢٤٧/٤.

(١٦٨) سورة البقرة ، الآية [٩٦] . (١٦٩) مفاتيح الغيب ٤٩٥/٦ .

(١٧٠) سورة الإسراء ، الآية [٧١] .

(١٧١) والأخرى: أنّ المقصود بـ (إمامهم): نبيهم، وقيل: كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم، وقيل: المراد به الأخلاق الباطنة الداعية إلى الأفعال الظاهرة. انظر: تفسير الضحاك ٥٣٢/١ ، والكشاف ٦٣٧/٢ ، ومدارك التنزيل ٤٦٦/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٤/٢١ ، وتفسير ابن كثير ٩٩/٥ ، ومعالم التنزيل ١٠٩/٥ ، والبحر المحيط ٦٠/٦ ، واللباب ١٧١/٤ ، والبحر المديد ١٠٩/٤ .

(١٧٢) الكشاف ٦٣٧/٢ .

(١٧٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/٦ ، وفتح القدير ٢٤٦/٣ ، وأضواء البيان ١٧٦/٣ ، والبرهان في علوم القرآن ٢٩٨/١ .

(١٧٤) انظر: الكشف والبيان ١١٦/٦ ، ومعالم التنزيل ١١٠/٥ ، وإرشاد العقل السليم ١٨٧/٥ ، ولباب التأويل ١٧١/٤ ، وأنوار التنزيل ٤٥٩/٣ .

(١٧٥) انظر: مفاتيح الغيب ١٥/٢١ ، والبحر المحيط ٦٠/٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٢/١٢ ، والدر المصون ٣٩٠/٧ ، وغرائب القرآن ٣٧٠/٤ ، والكليات لأبي البقاء ص١٨٦ .

(١٧٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٥٩/٣. وقال السمين: " وهو معذور؛ لأن (أم) لا يجمع على (إمام) هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب " الدر المصون ٣٩٠/٧ .

(١٧٧) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما يدعى الناس بآبائهم، ص١١٩١ حديث رقم [٦١٧٨] .

(١٧٨) سورة الملك ، الآية [١٠] .

(١٧٩) والآخر: هو أن الكفار وهم في النار يقولون على سبيل التحسر والندامة والتوبيخ ومقتاً لأنفسهم بأنفسهم :﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ . انظر: معالم التنزيل١٧٧/٨، جامع البيان٥١٠/٢٣ ، والكشف والبيان٣٥٨/٩ ، وتفسير ابن كثير١٧٨/٨، ولباب التأويل١٢٥/٧، والكشاف٥٨٣/٤ ، ومعاني الزجاج ١٩٩/٥ ، والسراج المنير٣٧٢/٤ ، والبحر المحيط ٢٩٤/٨ ، والجامع لأحكام القرآن١١٥/١٠ ، وبحر العلوم٤٥٣/٣ ، والتسهيل ١٣٥/٤ ، وأنوار التنزيل ٣٦٣/٥ ، والمحرر الوجيز ٣١٣/٥ ، وفتح القدير ٢٦١/٥ ، وروح المعاني ١١/٢٩ ، وفي ظلال القرآن ٣٦٣٥/٦ .

(١٨٠) انظر: مفاتيح الغيب ٥٧/٣٠ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٢٦/٦

(١٨١) الكشاف ٥٨٣/٤ .

(١٨٢) التحرير والتنوير ٢٥/٢٩ .

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه الدراسة المستفيضة والمتأنية انتهى البحث إلى العديد من النتائج ، لعل أهمها :

* يعد الإمام الزمخشري أول من أطلق لفظ البدعة في كشافه على الأقوال التفسيرية الخاطئة .

* بلغ عدد المواضع التي عدَّها الإمام الزمخشري من بدع التفاسير اثنين وعشرين موضعاً ، وقد تنوعت أساليبه وتعبيراته في الحكم عليها بذلك ؛ فمنها ما صرح فيها بهذا الوصف ، وذلك بقوله : (ومن بدع التفاسير) وهذا هو الأغلب الأعم ؛ حيث بلغت ثمانية عشر موضعا ، أما الأربعة الباقية فقد حكم على أحدها بقوله : (وهو قريب من بدع التفاسير) ، وعلى الثاني بقوله: (من بدع المتصوفة) ، وعلى الثالث بقوله : (من بدع تأويلات الرافضة) وعلى الرابع بقوله : (ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة) .

* تابع كثير من المفسرين الإمام الزمخشري في أحكامه على هذه الأقوال بأنها من بدع التفاسير ؛ حيث إنهم نقلوها عنه في تفسيرهم لهذه الآيات وضمَّنوها مصنفاتهم ، ومنهم على سبيل المثال: النيسابوري ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، والنسفي ، والخطيب الشربيني ، والقرطبي ، وابن جزي ، والألوسي ، وابن عاشور ، وإسماعيل حقي .

* أرجع الإمام الزمخشري حكمه على أقوال من سبقوه بأنها من بدع التفاسير إلى عدة عوامل ، وهي : مخالفة ظاهر السياق وهو الأعم الأغلب ؛ وقد وردت في تسعة مواضع ، يليها ما يمكن تسميته : (ما لا عهد للعرب به) وبلغ عددها خمسة مواضع ، ثم ما جرى على خلاف معهود لغة القرآن ، وقد بلغت ثلاثة مواضع ، ثم مخالفة النظم والتركيب ، وقد جاء ذلك في موضعين ، ومثله مخالفة الصرف ، أما المحمول على المعاني المستحدثة بعد عصر التنزيل فقد جاء في موضع واحد .

* ذكر الإمام الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أن تفسير الصوفية الرعد بأنه : صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم ، من بدع التفاسير ، ظنا منه أن هذا هو المعنى الظاهري للآية، وهذا ما لم يقصده الصوفية، حيث يقول الألوسي : " وجعل الإمام الزمخشري هذا من بدع المتصوفة وكأني بك تقول : إن أكثر ما ذكر في باب الإشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل ، والجواب إنا لا ندعي إلا الإشارة ، وأما أن ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى

فمعاذ الله تعالى من أن يمر بفكري، واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد، والجهل الذي ليس عليه مزيد، وقد نص المحققون من الصوفية على أن معتقد ذلك كافر والعياذ بالله تعالى " .

* لم يتأثر الإمام الزمخشري بآراء المعتزلة في الحكم على أقوال من سبقوه بأنها من بدع التفاسير على الرغم من اعتناقه المذهب الاعتزالي، بل إنه خالفهم في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ حيث إنهم يقولون: إن (كلَّم) من (الكلْم) وهو الجرح وأن معناه : وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن . وهو ما رده الإمام الزمخشري عليهم ؛ لأن هذا القول يدعو إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح ، وصدق الإمام الزمخشري وأنصف إنه لمن بدع التفاسير التي ينبو عنها الفهم ، ولا يبين بها إلا الوهم .

* أنكر ابن عاشور على الإمام الزمخشري قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ إن المراد من الآية كما ورد عن القدامى : لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي، مما جعله يحكم عليه بأنه من بدع التفاسير ، وجزم ابن عاشور بأنه لم يجد أحدا من القدامى فسر الآية بمثل ما قاله الإمام الزمخشري، وبذلك أنكر عليه نسبة هذا القول إلى من سبقه من المفسرين .

* لقد كان الإمام الزمخشري محقاً في الحكم على أربعة عشر موضعاً ؛ حيث خالفه الصواب فيها ، على حين جانبه الصواب في سبعة مواضع ، وبقي موضع واحد ذكر المفسرون فيه تسعة أقوال ضعَّف الإمام الزمخشري قولين منها وعدهما من بدع التفاسير ، والحق أن الصواب خالفه في أحدهما على حين جانبه في الآخر .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٣- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، تحقيق الشيخ أحمد عبد المقصود وآخرين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤٢٢هـ

٤- البحر المديد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٥- بدع التفاسير لأبي عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ، ط٢ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٦- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ .

٧- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت ، ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .

٨- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، دار الفكر – بيروت

٩- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تحقيق سامي محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٠- تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان ، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م .

١١- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .
١٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري ، تحقيق إبراهيم محمد الجمل ، دار القلم للتراث القاهرة .
١٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .
١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٥- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ١٤٠٤هـ .
١٦- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، بيت الأفكار الدولية – الدمام – المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م .
١٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، تحقيق زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
١٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .
١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل لأبي القاسم محمود ابن عمر الإمام الزمخشري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٢٠- الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي تحقيق أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م .

٢١- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن إبراهيم الشهير بالخازن ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٢٣- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر وغيره ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م .

٢٤- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .